الصاعقة الثانية والتسعون: وفاؤكما كالرَّبع أشجاه طاسمه(*)

وفاؤكُما كالرَّبع أشجاه طاسمُهْ ... بأن تُسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُهْ[١]

وما أنا إلا عاشقٌ كلُّ عاشقٍ ... أعقُّ خليليه الصفيين لائمُهْ

وقد يتزيا بالهوى غيرُ أهله ... ويستصحبُ الإنسانَ منْ لا يُلائمُهْ

بليتُ بلى الأطلالِ إن لم أقفْ بها ... وقوفَ شحيحٍ ضاعَ في الترب خاتمُهْ

كئيبًا توقاني العواذلُ في الهوى ... كما يتوقى ريضَ الخيلِ حازمُهْ[٢]

قفي تغرم الأولى منَ اللحظِ مهجتي ... بثانيةٍ والمتلفُ الشيءَ غارمُهْ

سقاكِ وحيانا بكِ اللهُ إنما ... على العيسِ نورٌ والخدورُ كمائمُهْ

وما حاجةُ الأظعانِ حولَكِ في الدّجى ... إلى قمرٍ ما واجدٌ لكِ عادمُهْ

إذا ظفرتْ منكِ العيونُ بنظرةٍ ... أثاب بها معيي المطيِّ ورازمُهْ[٣]

حبيبٌ كأنَّ الحسنَ كانَ يحبُّهُ ... فآثرهُ أو جارَ في الحسنِ قاسمُهْ

تحولُ رماحُ الخطِّ دونَ سبائه ... وتُسبى لهُ منْ كلِّ حيٍّ كرائمُهْ

ويضحي غُبارُ الخيلِ أدنى ستورِه ... وآخرُها نشرُ الكباءِ الملازمُهْ[٤]

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبدالله بن حمدان العدوي عند منصرفه من الظفر بحصن برزويه، وعودته إلى إنطاكية.

(١) طاسمه: دارسه. ساجمه: ساكبه.

(٢) ريض الخيل: الصعب الانقياد.

(٣) الرازم: الذي سقط من الإعياء.

(٤) الكباء: عود البخار.

وما استغربتْ عيني فراقًا رأيتُهُ ... ولا علّمتني غيرَ ما القلبُ عالِمُهْ

فلا يتّهمني الكاشحون فإنني ... رعيتُ الردى حتى حلتْ لي علاقِمُهْ

مُشِبُّ الذي يبكي الشبابَ مشيبُهُ ... فكيفَ توقّيهِ وبانيه هادِمُهْ

وتكملةُ العيشِ الصّبا وعقيبُهُ ... وغائبُ لونِ العارضين وقادِمُهْ

وما خضبَ الناسُ البياضَ لأنهُ ... قبيحٌ ولكنْ أحسنُ الشَّعرِ فاحمُهْ

وأحسنُ منْ ماءِ الشبيبةِ كلّهِ ... حيا بارقٍ في فازةٍ أنا شائمُهْ[1]

عليها رياضٌ لم تحُكْها سحابةٌ ... وأغصانُ دوحٍ لم تُغنّ حمائمُهْ

وفوقَ حواشي كلِّ ثوبٍ موجَّهٍ ... من الدُّرِّ سمطٌ لم يثقبْه ناظمُهْ

ترى حيوانَ البرِّ مصطلحًا به ... يُحاربُ ضدٌّ ضدَّهُ ويُسالمُهْ

إذا ضربتْه الريحُ ماجَ كأنه ... تجولُ مذاكيه وتدأى ضراغمُهْ[2]

وفي صورةِ الرّوميّ ذي التاجِ ذلةٌ ... لأبلج لا تيجان إلا عمائمُهْ

تُقبِّلُ أفواهُ الملوكِ بساطَهُ ... ويكبرُ عنها كمُّهُ وبراجمُهْ

قيامًا لمنْ يشفي من الدّاءِ كيُّهُ ... ومنْ بينِ أُذني كلِّ قومٍ مواسمُهْ

قبائعُها تحتَ المرافقِ هيبةً ... وأنفذُ مما في الجفونِ عزائمُهْ[3]

له عسكرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى ... بها عسكرًا لم يبقَ إلا جماجمُهْ

---

(١) الحيا: المطر. الشائم: الناظر إلى البرق يرجو المطر.

(٢) تدأى: تختلّ.

(٣) القبائع: جمع قبيعة: ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد.

أَجلّتُـــهـــا منْ كلِّ طاغٍ ثيـــابُهُ ... ومـواطئِـهـا منْ كلِّ باغٍ مـلاغـمُـهْ[١]

فـقـدْ ملّ ضـوءُ الصبحِ مما تغـيـرُهُ ... وملّ ســوادُ الليـل مما تُزاحـمُـهْ

ومـلّ الـقـنـا مما تـدُقّ صُـــــدورَهُ ... وملّ حـــديدُ الهندِ مما تُلاطمُـهْ

سحـابٌ من العِقبـان يزحفُ تحتَـها ... سحابٌ إذا استسقتْ سقتْها صوارمُهْ

سلكتُ صُروفَ الدّهرِ حتى لقيتُهُ ... على ظهـرِ عـزمٍ مـؤيداتٍ قـوائمُـهْ

مهالكُ لم تصحبْ بها الذئبَ نفسُه ... ولا حَمَلَتْ فيـها الغُرابَ قوادمُهْ[٢]

فـأبـصـرتُ بدراً لا يرى البـدرُ مـثلهُ ... وخاطبتُ بحراً لا يرى العِبرَ عائمُهْ

غـضـبـتُ له لما رأيتُ صـفـاتِـه ... بلا واصفٍ والشعرُ تهذي طماطمُهْ[٣]

وكنتُ إذا يممْتُ أرضـاً بعـيـدةً ... سريتُ فكنتُ السرّ والليلُ كاتمُهْ

لقد سلَّ سيفَ الدّولةِ المجدُ معلماً ... فـلا المجدُ مـخفـيه ولا الضّـرْبُ ثالمُهْ

على عـاتقِ الملكِ الأغـرِّ نجـادُهُ ... وفي يدِ جبّارِ السماواتِ قائمُهْ[٤]

تحـاربُهُ الأعـداءُ وهي عـبـيـدُهُ ... وتدّخـرُ الأمـوالَ وهي غنائمُـهْ

ويستكبـرونَ الدهرَ والدهرُ دونهُ ... ويستعظمونَ الموتَ والموتُ خادمُهْ

وإنّ الذي سـمى عليًّـا لمنصفٌ ... وإنَّ الذي سَمّاهُ سَيفًا لظالمُـهْ

ومـا كلُّ سيفٍ يقطعُ الهـامَ حـدُّهُ ... وتقطعُ لزباتِ الزّمـانِ مكارِمُـهْ[٥]

---

(١) الملاغم: ما حول الفم.
(٢) قوادم الغراب: صدور جناحيه.
(٣) الطماطم: جمع طمطم: الذي في لسانه عجمة.
(٤) العاتق: موضع نجاد السيف من الكتف. النجاد: حمالة السيف.
(٥) لزبات الزمان: شدائده.